جيل الخلافة

سلسلة أجنحة غزة الصامدة

4

عمر الطيّار

أريج ماجد

مكتبة الطفل

جيل الخلافة

سلسلة أجنحة غزة الصامدة

4

عمر الطيّار

أريج ماجد

مكتبة الطفل

عُمَرُ طِفْلٌ فِي التَّاسِعَةِ مِنْ عُمْرِهِ، بَطَلٌ مِنْ أَبْطَالِ غَزَّةَ وَرَبِيبُ مَسَاجِدِهَا يُصَلِّي فِيهَا وَيَسْمَعُ الدُّرُوسَ وَيُشَارِكُ فِي حَلَقِ الْقُرْآنِ.

حَسَنُ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ، بَارٌّ بِأَبَوَيْهِ وَأَقَارِبِهِ وَجِيرَانِهِ، كَرِيمٌ يُعْطِي وَيَتَصَدَّقُ كَمَا عَلَّمَهُ أَبُوهُ، وَكُلُّ مَنْ يَعْرِفُهُ يُحِبُّهُ.

كَانَ عُمَرُ يَعْمَلُ أَجِيرًا فِي الزِّرَاعَةِ؛ يَجْنِي ثِمَارَ الْفَرَاوِلَةِ مَعَ رِفَاقِهِ مُقَابِلَ مَبْلَغٍ زَهِيدٍ، لِمُسَاعَدَةِ وَالِدِهِ فِي تَوْفِيرِ قُوتِ يَوْمِهِمْ، فَالْوَضْعُ فِي غَزَّةَ كَانَ خَانِقًا تَحْتَ حِصَارٍ طَالَ سَبْعَةَ عَشَرَ عَامًا.

أَحَبَّ عُمَرُ الطَّيَرَانَ كَثِيرًا، حَتَّى إِنَّهُ لَقَّبَ نَفْسَهُ "عُمَرَ الطَّيَّارَ"، وَكَمْ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَيُرَدِّدُ دَائِمًا بِأَنَّهُ سَيُصْبِحُ طَيَّارًا مَاهِرًا يَجُوبُ الْعَالَمَ بِطَائِرَتِهِ الْخَاصَّةِ، يَحْمِلُ بِدَاخِلِهَا طَعَامًا وَلِبَاسًا وَمُؤَنًا كَثِيرَةً يُوَزِّعُهَا عَلَى الْمُحْتَاجِينَ.

لكِنَّ الْحَرْبَ فَاجَأَتِ الْجَمِيعَ، فَجَثَمَتْ كَغَيْمَةٍ سَوْدَاءَ عَلَى غَزَّةَ بِدَمَارِهَا وَعَذَابِهَا.

وَقُصِفَ بَيْتُ عُمَرَ وَاسْتُشْهِدَ أَخُوهُ وَعَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ أَقَارِبِهِ، وَأُصِيبَ وَالِدُهُ بِجُرُوحٍ بَالِغَةٍ أَرْدَتْهُ مُقْعَدًا لَا يَقْوَى عَلَى الْحَرَكَةِ، وَأُصِيبَتْ أُمُّهُ أَيْضًا، وَأُجْبِرُوا عَلَى النُّزُوحِ، فَحَمَلُوا مَا تَبَقَّى مِنْ مَتَاعِهِمْ مُتَنَقِّلِينَ تَحْتَ الْقَصْفِ وَالصَّوَارِيخِ بَيْنَ الْمَدَارِسِ وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ، عَلَّهُمْ يَجِدُونَ مَكَانًا يَبِيتُونَ فِيهِ، فَلَمْ يُفْلِحُوا فِي ذَلِكَ.

فَالْأَمَاكِنُ مَلْأَى بِالنَّاسِ وَالْحُزْنِ وَالْوَجَعِ.

وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ إِذِ اتَّصَلَ بِهِمْ قَرِيبُهُمْ، وَقَدْ سَاعَدَهُمْ فِي إِيجَادِ مَكَانٍ مُنَاسِبٍ، حَيْثُ بَنَوْا خَيْمَتَهُمْ.

كَانَ عُمَرُ جَالِسًا فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْخَيْمَةِ يَنْظُرُ إِلَى وَالِدِهِ الْقَعِيدِ، وَقَدْ عَلَتْ وَجْهَهُ سَحَابَةُ حُزْنٍ، وَبَيْنَمَا هُوَ غَارِقٌ فِي أَفْكَارِهِ إِذْ بِوَالِدَتِهِ تُبَادِرُهُ بِكَلِمَاتٍ حَرَّكَتْ فِيهِ مَشَاعِرَ الْمَسْؤُولِيَّةِ وَالرُّجُولَةِ وَهُوَ فِي سِنٍّ صَغِيرٍ:

- سَتَكُونُ سَنَدًا لِوَالِدِك وَأُسْرَتِك يَا عُمَرُ، فَقَدْ آنَ الْأَوَانُ لِتَكُونَ رَجُلًا!

نَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَالِدَتِهِ وَرَدَّ عَلَيْهَا وَقَدْ لَمَعَتْ عَيْنَاهُ:

- لَا تَقْلَقِي يَا أُمِّي فَسَأَكُونُ رَجُلَ الْبَيْتِ، وَسَتَفْخَرُونَ بِي.

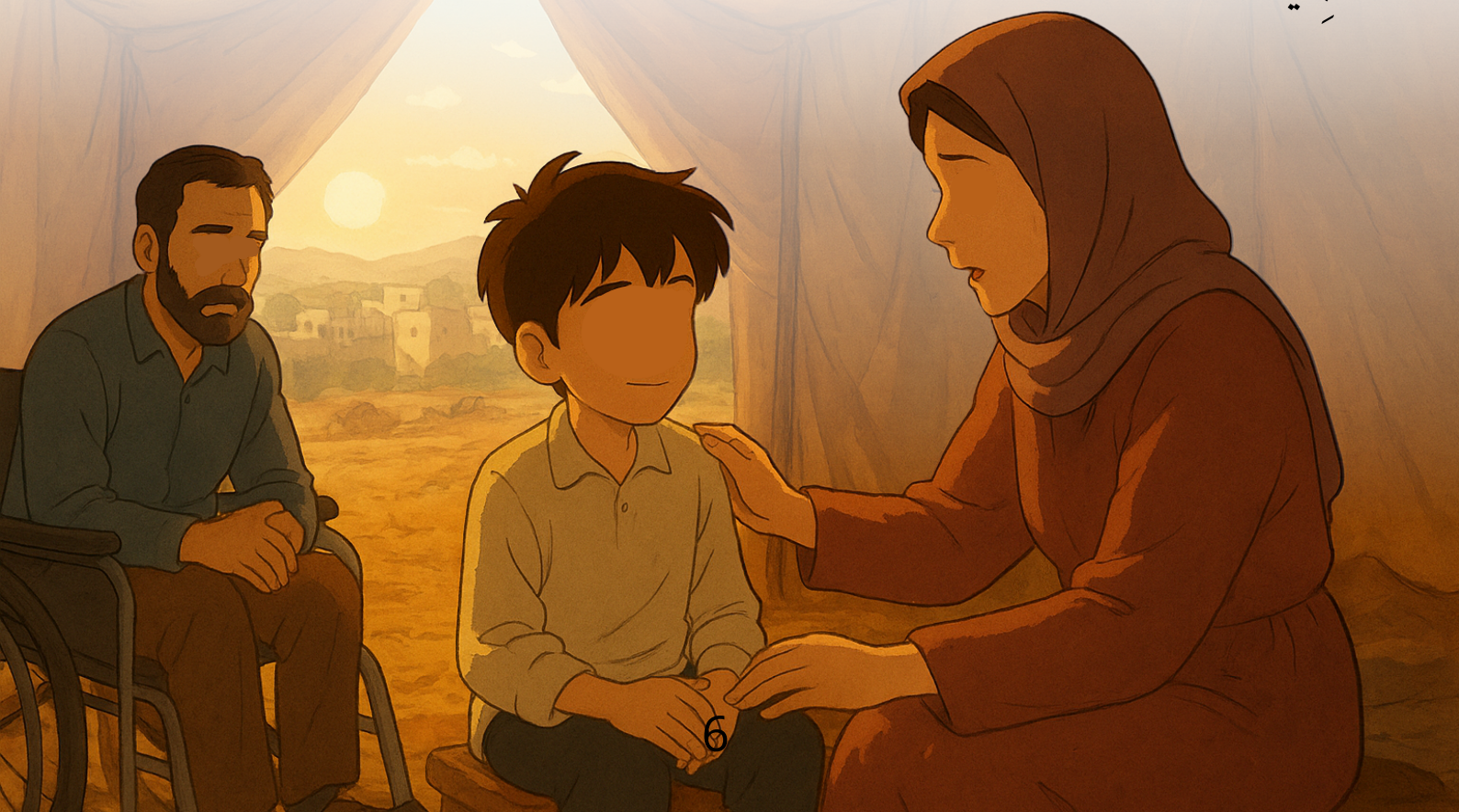

وَهَكَذَا أَصْبَحَ عُمَرُ الْمَسْؤُولَ عَنِ الْبَيْتِ بَعْدَ إِصَابَةِ وَالِدِه، يَخْرُجُ صَبَاحًا لِيَجْمَعَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ حَطَبٍ، أَوْ يَأْتِيَ بِجَالُونِ مَاءٍ أَوْ بِقَلِيلٍ مِنَ الطَّعَامِ مِنْ أَحَدِ التَّكَايَا تَحْتَ أَزِيزِ الطَّائِرَاتِ وَضَرْبِ الصَّوَارِيخِ.

كَانَ الْقَصْفُ وَالِانْفِجَارَاتُ تُخِيفُهُ وَتُرْعِبُهُ فِي بِدَايَةِ الْحَرْبِ، فَيَهْرَعُ إِلَى أُمِّهِ يَحْتَضِنُهَا لِيُخَفِّفَ حُزْنَهُ، لَكِنَّ طُولَ الْحَرْبِ وَمُكَابَدَةَ أَهْوَالِهَا صَقَلَتْ شَخْصِيَّتَهُ، وَقَوَّتْ قَلْبَهُ فَأَصْبَحَ لَا يَهَابُ إِلَّا خَالِقَهُ، يَخْرُجُ يَوْمِيًّا فِي الصَّبَاحِ بَيْنَ الرُّكَامِ لِيَجْمَعَ مَا قَدْ يَنْفَعُهُمْ وَيَعُودُ بِهِ فَرِحًا إِلَى وَالِدَتِهِ.

ذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ عُمَرُ صَبَاحًا كَعَادَتِهِ فَرَأَى النَّاسَ يَرْكُضُونَ قَائِلِينَ: "طَائِرَاتُ مُسَاعَدَاتٍ! إِنْزَالُ أَكْلٍ!" فَرَكَضَ مَعَ الرَّاكِضِينَ، يَرْجُو الظَّفَرَ بِصُنْدُوقٍ مِنَ الصَّنَادِيقِ الْمُلْقَاةِ مِنَ الطَّائِرَاتِ، وَمَا إِنْ وَصَلَ حَتَّى تَعَطَّلَتِ الْمَظَلِّيَّةُ مِنْ إِحْدَى الصَّنَادِيقِ فَسَقَطَ عَلَى عُمَرَ وَرِفَاقِهِ مِنْ أَبْنَاءِ غَزَّةَ الْجَائِعِينَ فَأَرْدَاهُمْ قَتْلَى.

وَكَانَتْ هَذِهِ نِهَايَةُ "عُمَرَ الطَّيَّارِ" الَّذِي تَمَنَّى أَنْ يَطِيرَ يَوْمًا بِجَسَدِهِ فِي السَّمَاءِ عَلَى مَتْنِ طَائِرَتِهِ، فَكَانَ قَدَرُهُ أَنْ تَطِيرَ رُوحُهُ إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَ أَنْ سَقَطَ عَلَيْهِ صُنْدُوقُ طَعَامٍ أُلْقِيَ مِنْ طَائِرَةٍ!

رَحَلَ عُمَرُ الطَّيَّارُ، وَبَقِيَتْ قِصَّتُهُ تَهْمِسُ لِلْعَالَمِ:

فِي غَزَّةَ، خَلْفَ كُلِّ شَهِيدٍ حُلُمٌ كَانَ يُحَاوِلُ أَنْ يَكْبُرَ!

www.ketaeb.com